وإن تبغنى فى حلقة القوم تلقنى
وإن تلتمسنى فى الحوانيت تصطد
متى تاتنى اصبحك كاسا رويـة
وإن كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد
وإن يلتق الحى الجميـع تـلاقنى
إلى ذروة البيت الشريف المصمد

يقول الدكتور طه (ص ٦١ حديث الأربعاء الجزء الأول) فانظر اليه وهو يتقدم اليك ظريفا لبقا رشيقا خفيف الروح الاجتماعى ، يؤمن بأنه قد خلق لقومه قبل أن يخلق لنفسه . ولك أن تسأل كيف نجا الدكتور طه من بطاقة الفخر ومعجمها ، وكيف قفز هذه القفزة الرائعة الى الظرف واللباقة والرشاقة ، من الواضح أن الدكتور طه آمن بأن خير الشعر القديم صورة نفس مثقفة ، وأن الثقافة بمعناها الوجدانى الدقيق تفتح لنا أبواب هذا الشعر . وآية الثقافة هى التوازن النفسى الذى سمعت منه طرفا فى حديث مطولة لبيد ، وتستطيع أن تتم هذا الحديث فى أماكن أخرى غير قليلة من حديث زهير .

من الواضح أن لدينا أفكارا سابقة غير قليلة عن البداوة تحول بيننا وبين الانطلاق وتحرير الشعر القديم ، ومن الواضح أن طرفة يحدث نفسه كما يحدث قومه ، وأنه يتخيل الأمر كله تخيلا ، وأنه يطمح فى رضاء المجتمع ويتعمق المعنى النفسى لكلمة فتى ، لايتصور المجتمع طوع إرادته وتصوره لنفسه ، ولابد إذن من اصطناع الخفة والظرف واللباقة . وقد أدخل الدكتور طه فى خفة ورشاقة أيضا تعديلا أى تعديل فى مفهوم كلمة الفتى على الخصوص . وكيف نحيى الشعر القديم دون أن نغير من معانى الكلمات الأساسية ، وكيف نحيى الشعر القديم دون أن نتصور الشاعر سابقا لعصره وبيئته متجاوزا لما قد نعهده من أعراف وتقاليد .

والمهم هو أن الدكتور طه قد قرأ سير الأبيات على غير ما يقرؤه الناس ، لقد قرأ الناس فى الأبيات وأصواتها ولغتها مسيرة الجهد وعلو الصوت والتنبيه الغليظ . وقرأ الدكتور طه الأبيات بطريقة صوتية مختلفة ، وكان ثمرة هذا الاختلاف مانرى فى شخصية الشاعر من هذه الرشاقة ، ولأمر ما أدخل الدكتور طه الرشاقة فى مفهوم الفتى دون أن يزعجنا أو يعلمنا .